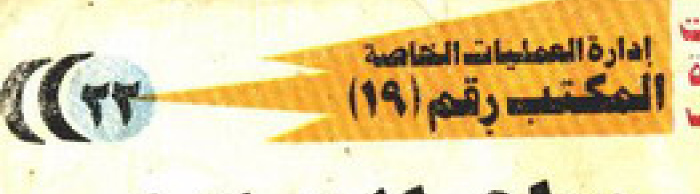




جواهر المهراجا

١ ــ حفل المهراجا ..

تعد لفظة (الڤيلا) لفظة متواضعة للغاية ، إذا ما أطلقت على ذلك القصر الفاخر ، الذى تم استئجاره بالعجمى فى مدينة الإسكندرية ؛ لكى ينزل به واحد من أثرى أثرياء الهند ، هو المهراجا (مانجام) ، خلال فترة زيارته لمصر التى تستغرق أسبوعين ..

وبرغم أن الڤيلا بموقعها وبما يحيط بها من حديقة واسعة غنّاء ، تضم أنواعًا مختلفة من الزهور على قدر كبير من الأناقة والجمال ، إلا أن ما جعلها أشبه بالقصور ــ حقيقة ــ هو ما أضيف إليها من تجديدات ولمسات جمالية ، وضعها خبراء الديكور والمختصون من الحاشية الهندية التابعة للمهراجا ، الذين سبقوه قبل وصوله على ظهر يخته الفاخر إلى الإسكندرية ؛ كى يعدُّوا له هذه (الڤيلا) ، التى وقع اختيارهم عليها لتكون مقرًا لإقامته .

فقد كانت تماثيل الفِيَلة العاجية البيضاء التى تم توزيعها فى الحديقة ، وتلك النافورة الجميلة ذات الأشكال الفسفورية المختلفة ، التى تم تجهيزها كى تتوسط الحديقة ، بالإضافة إلى الديكورات التى تمثل الحضارة الهندية القديمة بسحرها وغموضها .. كل أولئك أحال تلك الفيلا العصرية الأنيقة إلى ما يشبه قصرًا من قصور الشرق القديمة .

وبرغم أن لقب (المهراجا) كان يطلق على أثرياء الهند القدامى ، ولم يعد له وجود فى الوقت الحاضر ؛ إلا أن (مانجام) — الذى ورث ثروة طائلة عن جده المهراجا (راجال) ، بعد وفاة أبيه وهو لا يزال فى سن مبكِّرة — ظل محتفظًا بهذا اللقب ، ورفض التخلِّى عنه .

وكان المهراجا (مانجام) يقضى معظم شهور السنة متنقِّلًا فى رحلات مختلفة خارج الهند ، يزور الكثير من البلدان ، فى مناطق مختلفة من العالم ..

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يزور فيها مصر ، واختار مدينة الإسكندرية ليقضى بها هذه الزيارة الأولى .

وقد أقام المهراجا حفلًا فاخرًا فى الفيلا التى ينزل بها فى الليلة الأولى لوصوله ، دعا إليها محافظ الإسكندرية ، وعددًا من رجال الأعمال ، والمسئولين ، ولفيفًا من الأجانب ، بالإضافة إلى رجال الصحافة والإعلام .

ولم يكن رجال الصحافة بالطبع فى حاجة إلى دعوة للتصوير ، والكتابة عن ذلك المهراجا ، الذى يتمسك بالتقاليد الهندية القديمة ، ويحيا كملياردير عصرى .

* * *

وفى تلك الليلة كان القصر يغص بالعديد من المدعوِّين والمدعوَّات ، الذين جاءوا لحضور الحفل الذى أقامه لهم المهراجا .

ودارت عدة أحاديث بين الحاضرين تتعلَّق كلها بثراء المهراجا ، وقصوره وجواهره ..

قال أحدهم لزميله :

— إنهم يقولون : إن المهراجا يعد واحدًا من أغنى ثلاثة رجال فى العالم .

قال له الآخر :

ـــ ومن العجيب أنه لا أحد يعرف المصدر الحقيقى لثروته ؛ فبعضهم يقول : إنه قد ورثها عن أحد أجداده ، والبعض الآخر ينسب له العثور على كنز بإحدى المناطق الأثرية الهندية القديمة ، وأن ذلك الكنز هو الذى نقله من مصاف الأثرياء العاديين ، إلى ملياردير يبعثر أمواله يمينًا ويسارًا .

ورد عليه زميله قائلًا :

ـــ لقد سمعت أن لديه مجموعة نادرة من الجواهر ، وأنها تضم عددًا من الماسات والأحجار الكريمة لا تقدَّر بثمن .

وفى حديث آخر دار بين مجموعة من السيدات ، قالت إحداهن :

ـــ هل سمعتنّ عن جواهر المهراجا (مانجام) ؟

فردَّت عليها الأخرى قائلة :

ـــ لقد اطلعت فى إحدى المجلات على صور لبعضها .. إنها أجمل من أن تصدِّقها العين .

وقالت سيدة ثالثة :

ـــ لقد سمعت أن المهراجا سيطلعنا على جواهره النادرة هذه الليلة ، بناء على طلب أحد المقرَّبين إليه .

وقالت سيدة رابعة :

ـــ لو حدث ذلك لكانت هذه حفلة العمر بحق .. فرؤية مثل هذه المجوهرات الخيالية فرصة لا تتاح للكثيرين .

وفجأة اشرأبَّت الأعناق وتحوَّلت الأنظار ، نحو الدَّرج الداخلى ، والمؤدى إلى ردهة الاستقبال الرحبة .. حيث كان المهراجا (مانجام) يهبط درجات السُّلَّم ، وحوله مجموعة من رجال الحاشية .

وهرعت عدسات المصوِّرين تلتقط صورًا مختلفة للمهراجا القادم من الهند ، بلاد الأساطير .. والذى يعد هو نفسه أسطورة تمشى على قدمين ..

استقبل المهراجا مدعوِّيه بابتسامة عذبة صافية ، جعلته أبعد ما يكون عن تلك الصورة التقليدية للغرور والتعالى ، اللذين يبدوان عادة على غيره من الأثرياء .

وأخذ يتنقل بين المدعوين ليوزع عليهم بعضًا من عبارات المجاملة الرقيقة .. وانتحى بمحافظ الإسكندرية جانبًا ، ثم ارتفع صوته مخاطبًا مدعويه قائلًا :

ـــ أيها السادة والسيدات .. أرجو أن تعيرونى انتباهكم قليلًا .. فنزولًا على رغبة السيد المحافظ ، اسمحوا لى أن أضع تحت أنظاركم جواهر الأسرة .. فأرجو أن تكون المشاهدة ليس على اعتبار أنها مجرد جواهر تقليدية نفيسة ، وإنما باعتبار ما تمثله من قيمة تاريخية ، تعبر عن الثراء الهندى القديم .. وبرغم أن قيمتها المادية تناهز المليار دولار ، إلا أن قيمتها التاريخية تتجاوز ذلك بكثير .

وتعالت صيحات الاستحسان والسرور بين المدعوين لدى سماعهم هذا الخبر .. فرؤية هذه الجواهر النفيسة فرصة ، قلما تتاح لأحد خارج أسرة المهراجا .

ودعا المهراجا زائريه للتوجه معه إلى غرفة العرض ، يتقدمهم ثلاثة من حرسه الخاص ، الذين قاموا بفتح باب الغرفة ، ليدلف إليها المهراجا مع مدعويه ..

وبالداخل بدت الغرفة وقد أثثت على الطراز الهندى العتيق ؛ فالستائر والأرضية كلها من القطيفة الحمراء ، وعبق البخور ينتشر فى سماء الغرفة ، ليضفى عليها سحرًا من نوع خاص .

وكان هناك عشرة من الحرس الخاص للمهراجا ، بملابسهم الهندية القديمة ، وأسلحتهم العصرية التى تتفق مع قيمة ما يحرسونه .

أما فى منتصف الغرفة فقد كان هناك تمثال كبير بالحجم الطبيعى ؛ يمثل فيلًا قائمًا على قاعدة من الرخام الطبيعى .

ودعا المهراجا المدعوين إلى الالتفاف حول التمثال ، على حين وقف هو بجوار خرطومه ، قائلًا لهم وابتسامة عريضة تملأ وجهه :

ـــ والآن أيها السادة .. استعدوا للمفاجأة .. مفاجأة رؤية أروع جواهر العالم التى لم يسبق لها مثيل .

* * *

٢ ــ عصابة المسلحين ..

أدار المهراجا (مانجام) دائرة رقمية إلكترونية ، مثبتة فى فتحة خرطوم الفيل أربع دورات ، فإذا الجسم البرونزى الصلب الذى يغطى جسم التمثال ، ينزاح إلى أسفل فى حركة إلكترونية .. كاشفًا عن هيكل زجاجى كان يختفى تحت الغطاء البرونزى .

وفى قلب الهيكل الزجاجى استقرت جواهر المهراجا النفيسة ، تخطف بريقها الأبصار ، وقد انعكست عنها الأضواء ، فى منظر يخلب اللُّب .

انطلقت شهقات الإعجاب والدهشة من الجميع ، ثم ما لبثوا أن كتموا أنفاسهم حيال روعة مايرونه .

فقد كان ما يشاهدونه حقيقة غاية فى الرُّوعة والبهاء .

كانت مجموعة الماسات المتعدِّدة الأشكال ، والحلىّ الذهبية ، والأنواع المختلفة لليواقيت ، وأحجار البلاتين ، تشكل كنزًا نفيسًا ليس له مثيل ..

وبينما وقف البعض يتأمَّل ما يراه فى انبهار وإعجاب ، راح البعض الآخر يهمس بروعة ما يشاهده .

وبعد أن فرغ الزائرون من الاستمتاع برؤية جواهر المهراجا ، دعاهم إلى تناول العشاء على المائدة الفاخرة ، التى أعدها لهم بقاعة الطعام .

كان المصوِّرون ورجال الصحافة ، ما زالوا منهمكين فى تصوير هذا الحفل ، وتسجيله بكل وقائعه وتفاصيله ، حتى ما كان يقدم على المائدة من أنواع الأطعمة الفاخرة ، وألوانها المتعدِّدة .

وقد أذن لهم المهراجا بالتَّجوال بحرية فى أرجاء قصره .. فهو ممن يحرصون على الشهرة ، وعلى أن يظل اسمه لامعًا على صفحات الجرائد والمجلات ، قدر حرصه على ثرائه المادىّ .

ولكن كان من بين أولئك المصوِّرين والصحفيين نفر آخر ، لا يختلفون عمن سواهم ، غير أن لهم نظرات مريبة ، وتحركات غريبة ، لم يفطن إليها أحد .. ولم تكن تحركاتهم من مكان لآخر داخل القصر عشوائية ، بل كانت مدروسة بعناية شديدة ..

فقد انتهز هؤلاء فرصة انشغال الجميع بمائدة الطعام الفاخرة .. وراحوا يتسللون خلسة ، رجلًا بعد آخر ، من قاعة الطعام إلى غرفة الجواهر .. وهناك راحوا يتظاهرون بالانهماك فى التقاط صور للتماثيل الهندية ، والتحديق فى صور الأسرة الخاصة بالمهراجا ، المعلقة فى الردهة المؤدية إلى غرفة الجواهر ..

لكن قائد الحرس اعترض طريقهم قائلًا :

ـ معذرة أيها السادة .. إنَّ الاقتراب من هنا محظور .. عليكم أن تعودوا إلى قاعة الطعام .

قال له أحدهم :

ـ أود التقاط صورة خاصة لحرس المهراجا ، بملابسهم الهندية القديمة .. أتمانع ؟

قائد الحرس :

ـ معذرة .. هذا محظور .. من فضلكم عودوا إلى قاعة الطعام .

وانتهز أحدهم فرصة انهماك قائد الحرس بالحديث مع زميله ، ليضغط على زرٍّ فى كاميرا التصوير التى يحملها ،

فبرز من مقدمتها فوهة مسدس مزوَّد بكاتم للصوت .. قال لقائد الحرس فى نبرة خفيضة مغلفة بالخشونة :

ـ هذه الكاميرا لها فوائد أخرى غير التصوير ، فهى مزوَّدة بمسدس كاتم للصوت ، وطلقة واحدة منه ستكون كافية لإحداث ثقب كبير فى رأسك ؛ لذا عليك أن تكون مطيعًا .

ارتعدت فرائص قائد الحرس من وقع المفاجأة ، وقال له :

ـ ماذا تريدون ؟

فأجابه الآخر :

ـ ستسير أمامنا بهدوء وتتقدَّمنا إلى غرفة الجواهر ، طالبًا من رجالك بالداخل فتح بابها .

وحل التصميم محل الخوف على وجه قائد الحرس ، الذى قال :

ـ هذا محال .. فتلك الجواهر مقدَّسة .

قال له الرجل ذو المسدس :

— أعتقد أن حياتك أيضًا بالنسبة لك مقدسة ، وينبغى أن تحافظ عليها .. أليس كذلك ؟

قال لهم قائد الحرس ، فى نبرة يخالطها التردُّد :

— إننى لا أستطيع .

فتوجَّه أحدهم إلى زميله ذى المسدس ، قائلًا فى توتُّر :

— إنه يضيع وقتنا .. تخلَّص منه فَوْرًا .

فهزَّ الرجل رأسه موافقًا وهو يُصوِّب إليه مسدسه ، وقال :

— حسنًا ..

قال لهم قائد الحرس بصوت مرتعش :

— لا .. لا تضغط على الزّناد .. سأفعل ما تريدون .

فابتسم صاحب المسدس قائلًا :

— كنت على يقين من أنك ستغلّب جانب العقل ..

وفَوْرًا بدأ تنفيذ خطَّة مُحْكمة التنظيم .. فقد قامت مجموعة المصورين والصحفيين المزيفين وعددهم ستة أفراد بارتداء الأقنعة ، ثم أخرجوا عددًا من المسدسات من داخل

كاميرات التصوير التى كانت فى حوزتهم .. فيما أخرج أحدهم مدفعًا صغيرًا من داخل كاميرا فيديو ، كان يستخدمها فى التصوير .

وهكذا استحالت مجموعة المصوِّرين والصحفيين إلى عصابة مسلحة .

ولمَّا كانت جميع الأبواب داخل الڤيلا مزوَّدة بنظام إلكترونى للفتح والإغلاق ؛ فقد أسرع أحدهم بتعطيل الدائرة الكهربائية المتصلة بقاعة الطعام ، حيث يتواجد جميع المدعوين ، ليحول بينهم وبين مغادرة المكان .

وأخفى الرجال مسدساتهم ، فى حين توجَّه ثلاثة منهم نحو غرفة الجواهر ، يتقدَّمهم قائد الحرس .. فى حين قام رجلان آخران بمراقبة الطريق المؤدِّى إلى الرَّدهة ، وقد أمسك أحدهما بالمدفع الصاروخى ..

ضغط قائد الحرس على زرٍّ صغير بجوار باب الغرفة ، ففتح أحد الحراس كوَّة صغيرة فى الباب ينظر من خلالها .. وتوارى الرجال الثلاثة ملتصقين بالحائط حتى لا يراهم الحارس

ارتفع صوت قائد الحرس فى نبرة آمرة :

ـــ افتح الباب .

الحارس :

ـــ أمرك يا سيّدى .

وانفتح الباب إلكترونيًا ، لينفذ قائد الحرس إلى الداخل ، حيث وقف له رجاله باحترام ... ولكنه لم يكد يتقدّم بضع خطوات ، حتى دفعه أحد الرجال الثلاثة بقوة ، كاد معها أن ينكفئ .

وفوجئ رجال الحرس بالمقنّعين الثلاثة المسلحين ، وهم يقتحمون الغرفة .. وقبل أن يحاول الحراس الإمساك بأسلحتهم ، عاجل أحد المسلحين واحدًا منهم برصاصة مكتومة ، صرعته على الفور .

قال أحد الرجال الثلاثة بصوت حادّ :

ـــ استديروا إلى الحائط ، وأيديكم عالية ، وحذار أن يخالف أحدكم أوامرى ، وإلاّ ألحقته بزميله ..

كان للمفاجأة والرهبة التى أحدثها مصرع زميلهم ،

أثرها فى إذعان الحراس للأوامر .. فاستداروا إلى الحائط رافعين أيديهم إلى أعلى .

وأسرع أحد الرجال المسلحين بتقييد رجال الحرس ، وتكميم أفواههم بالأشرطة اللاصقة .. فيما كان زميله يتابع ذلك وهو يمسك بمسدسه .

أما الثالث فقد قام بتحريك الدائرة الرقمية الإليكترونية ، فى الجزء الذى يمثل فى التمثال خرطوم الفيل ، كما فعل (المهراجا) من قبل ، فظهر الهيكل الزجاجى تحت الغطاء البرونزى للتمثال .. حيث ترقد الجواهر بداخله .

وباستخدام جهاز صغير معه من أجهزة الأشعة الحرارية .. قام برسم دائرة كبيرة على الجسم الزجاجى .

ولم يكد ينتهى من ذلك ، حتى ضغط الهيكل الزجاجى ضغطة رقيقة إلى الداخل ، لينفصل جزء منه ، فانتزعه ووضعه برفق على الأرض ..

وفورًا قام بإخراج كيس بلاستيك كبير من طيّات ثيابه ، ليدس فيه جواهر (المهراجا) ، التى التقطها من داخل التمثال .

ووقتئذ كان زميله قد انتهى من تقييد الحراس ، فى الوقت الذى كان قد أنهى هو عملية الاستيلاء على الجواهر ، فقال لهما :

ـ هيًا بنا ..

وانسحب ثلاثتهم سريعًا ليلحقوا بزملائهم ، دون أن يفطنوا أن هناك عيونًا ترقبهم ، من خلال كاميرا تليفزيونية مثبتة بسقف الغرفة ، كانت تتابع حركاتهم حركة حركة ، حتى انتهوا خارجين ..

وفى تلك الأثناء ، كان المدعوُّون داخل قاعة الطعام ، قد بدءُوا يدركون أن الأبواب موصدة دونهم من الخارج .

وهنا ارتفع صوت (المهراجا) ، طالبًا من رجاله أن يحاولوا معالجة الأبواب لإخراجهم .. أما عصابة المسلحين فقد نزعوا أقنعتهم الجلدية التى كانت تخفى وجوههم ، وأسرعوا يغادرون القصر فى عجالة .. وعندما اعترضهم أحد الرجال فى أثناء انسحابهم من القصر ، وحاول أن يشهر عليهم سلاحه ، عاجله أحدهم بطلقة سريعة أردته قتيلاً .

وانصرفوا مسرعين إلى حيث كانت سيارتهم بالخارج ، لينطلقوا بها مبتعدين عن المكان .

* * *



٣ ــ زيارة صعبة ..

كان المقدم (ممدوح) منهمكًا فى أحد تدريبات الرماية ، وإصابة الهدف من زوايا مختلفة ، بصالة الرماية بإدارة العمليات الخاصة .. عندما جاءه استدعاء تليفونى ، لمقابلة مدير الإدارة على نحو عاجل ..

أعاد (ممدوح) مسدسه إلى جرابه الملتف حول إبطه ، ثم ارتدى (جاكتته) وأسرع يصعد إلى حجرة اللواء (مراد) .

وطرق (ممدوح) الباب بضع طرقات خفيفة ، مستأذنًا فى الدخول .

ثم دلف إلى الدخل ، حيث كان اللواء (مراد) جالسًا إلى مكتبه .. دعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس قائلًا :

ــ ما أخبار تدريبات الرماية ؟

ممدوح :

ــ على مايرام يا أفندم .

قال اللواء (مراد) فى نبرة جدية :

ــ هنالك مهمة جديدة فى انتظارك يا (ممدوح) .

ممدوح :

ــ تحت أمرك يا أفندم .

اللواء (مراد) :

ــ لابدَّ أنك قد سمعت عن سرقة جواهر المهراجا (مانجام) ، فى أثناء زيارته الأخيرة لبلادنا .

ممدوح :

ــ نعم يا أفندم .. إن الجميع يتحدثون عنها ، ويعتبرونها سرقة العصر .

اللواء (مراد) :

ــ إن هذه الجواهر تساوى على التحقيق مليار دولار .. فهى تعدُّ بهذه المثابة سرقة العصر .

قال له (ممدوح) مستوضحًا :

ــ ولكن ما علاقتنا نحن بهذه السرقة يا سيادة اللواء ؟.
إن السرقات من اختصاص مكتب مكافحة السرقات .

اللواء (مراد) :

ــ إن الأمر أكبر مما تتصوّر .. فنظرًا للقيمة الكبرى لهذه الجواهر ، سواء من الناحية المادية أو التاريخية .. كان المهراجا (مانجام) حريصًا على أن يؤمّن عليها ضد السطو لدى كبرى شركات التأمين العالمية .

وقد أمّن عليها بالفعل لدى إحدى شركات التأمين السويسرية ، بما يوازى ضعف ثمنها ، أى مليارين من الدولارات .. وهذا المبلغ يدفع كاملًا فى حالة سرقة الجواهر وعدم العثور عليها خلال عشرة أيام من تاريخ السرقة .

ممدوح :

ــ مازلت لا أفهم ما دورنا فى كل هذا ؟.

اللواء (مراد) :

ــ لمّا كان مبلغ التأمين يعدُّ مبلغًا ضخمًا للغاية .. لذا وضعت شركة التأمين السويسرية شرطًا هامًا .. وذلك زيادة منها فى الحيطة والحرص ، بعد أن لاحظت أن تنقُّلات المهراجا من بلد لآخر متعددة وسريعة .. وهذا الشرط

يقضى بإسهام شركة أو أكثر من شركات التأمين ، فى البلد الذى يزوره المهراجا ، مع الشركة السويسرية بربع قيمة مبلغ التأمين ، أى ٥٠٠ مليون دولار ، مقابل الحصول على بعض المزايا المادية التى تحصل عليها الشركة الأصلية ، وذلك خلال الفترة التى يزور فيها المهراجا الدولة التى يختارها .. والغرض من ذلك هو إسهام شركات التأمين الأخرى فى توفير الحماية الكافية للمهراجا فى أثناء زيارته ، وتخفيف عبء المخاطرة التى تقع على كاهلها .. وعندما جاء المهراجا لزيارة مصر ، اعتبرت شركات التأمين المصرية أن تلك الزيارة بمثابة فرصة ذهبية لها ، فتضامنت جميعها مع الشركة السويسرية ، وقامت بتوقيع عقد المشاركة لتأمين جواهر المهراجا من السرقة والسطو ..

ممدوح :

ــ الآن بدأت أفهم .

اللواء (مراد) :

ــ إن إخراج خمسمائة مليون دولار من النقد الأجنبى خارج مصر ، سيكون بمثابة خسارة مالية جسيمة ، تضر

باقتصادنا القومى ، وتضعف من رصيدنا من النقد الأجنبى .. لكن دفع هذا المبلغ أمر ملزم كما تنص شروط العقد ، والشىء الوحيد الذى يحول دون ذلك ، هو العثور على هذه الجواهر واستردادها .

ممدوح :

ـ إذن فأنا مكلّف العثور على هذه الجواهر ، واستردادها من سارقيها .

اللواء (مراد) :

ـ إنك أفضل من يعتمد عليه فى مثل هذه القضايا الصعبة .

ممدوح :

ـ ولكن ماذا بين أيدينا من أوراق ؟.

اللواء (مراد) :

ـ فى الواقع ليس لدينا شىء معين .. فالمهراجا (مانچام) له الكثير من الأعداء ، وثروته تسيل لعاب أخطر مجرمى السرقات .. لكن بناء على شهادة قائد حرس

المهراجا ، وأحد مفتشى شركة التأمين السويسرية ، فإن الاتهام ينحصر فى أحد زعماء العصابات الخطرين فى الهند وجنوب شرق آسيا كلها ، ويدعى (روشان خان) .. فهناك عداء تقليدى قديم بين أجداد ذلك المجرم الخطير وعائلة (مانچام) ، منذ أن كان جدّه من كبار الإقطاعيين فى الهند .. لكن الفرق بين (روشان خان) وجدوده ، أن الأخيرين كانو يريدون رأس جد المهراجا ، أما هو فإنه أكثر واقعية منهم ، ويفضل جواهر المهراجا على رأسه .. لقد فشلت أكثر من محاولة سابقة له لسرقة هذه الجواهر وأعتقد أنه قد نجح أخيرًا .

ممدوح :

ـ ولكن ماذا يؤكد أن الذين قاموا بالسرقة هم من عصابة (روشان خان) ؟

اللواء (مراد) :

ـ بناء على شهادة قائد الحرس ومفتش التأمين السويسرى ، فقد شاهد كلاهما رجلين مختلفين من رجال

العصابة ، قبل أن يرتديا قناعيهما يطلقان النار على اثنين من حراس المهراجا .. وبالاستعانة بالخبراء فى رسم الملامح التى شاهدها هذان الرجلان لوجهى اللصين ، وبالاستعانة بالمهراجا نفسه ، وبالإنتربول الدولى .. ثبت أن هذين الرجلين من عصابة (روشان خان) .

ممدوح :

ـ وهل غادرت العصابة البلاد ؟.

اللواء (مراد) :

ـ نعم .. خلال نصف ساعة من السرقة التى وضعوا خطة تنفيذها بعناية .. وبواسطة جوازات سفر متقنة التزوير .. وأعتقد أنهم الآن يحصون سرقتهم فى مكان ما بأحراش الهند .

ممدوح :

ـ إذن سأقوم بزيارة ثانية للهند [1] .

---

(١) اقرأ العدد رقم (١٢) من سلسلة المكتب (١٩) [الطائرة المفقودة] ، والتى تجرى أحداثها بالهند .

اللواء (مراد) :

ـ وهى زيارة ليست سهلة على الإطلاق ..

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ ومنذ متى كنت أقوم بزيارات سهلة للبلاد التى أذهب إليها ؟. إنها كلها من ذلك النوع الصعب ، بل الصعب جدًا ، ولكنه الواجب قبل كل شىء .

* * *



٤ ــ مفاجأة مرعبة ..

حلقت طائرة الهليكوبتر ، التى خصصها المهراجا (مانجام) لنقل المقدم (ممدوح) ، فوق أدغال (بنجولا) الهندية ..

حيث تعيش الوحوش الضارية ، جنبًا إلى جنب مع القتلة واللصوص ، وعصابات الطرق ، التى تزخر بها هذه الغابات المخيفة ، وأخطرها عصابة (روشان خان) ، صاحب التاريخ العريق فى جرائم السرقة والقتل والتهريب ، الجرائم الأخرى كافة .

وكانت خريطة المنطقة منشورة بين يدى (ممدوح) ، تحدد له الطرق الوعرة ، والأماكن التى يمكن أن يتجه إليها ، ويسكنها هؤلاء اللصوص .. وراحت الطائرة تهبط شيئًا فشيئًا فوق منطقة من المستنقعات الموحلة ..

كانت المنطقة محفوفة بالأشجار الكثيفة من كل جانب ..

وحالما أصبحت الطائرة على ارتفاع مناسب من المستنقعات ، طلب الطيار من (ممدوح) أن يهبط فوق بقعة من الأرض المحيطة بالمستنقعات ، مستعينًا بسُلَّم من الحبال .

بدت لـ (ممدوح) الأرض موحلة للغاية .

قال (ممدوح) للطيار :

ــ أتريدُ أن أهبط فى هذا المكان الموحل ؟

أجابه الطيار على نحو من يؤدى مهمة ثقيلة على نفسه ، يود أن ينتهى منها على عجل :

ــ إن الأوامر التى لدىَّ تقضى بأن أساعدك على الهبوط فى هذه المنطقة فحسب .. والمكان هنا على أى حال أفضل من الهبوط فوق أشجار الغابة الكثيفة ، معرِّضًا نفسك لكثير من المخاطر ، والارتطام بالأشجار فى أثناء عملية الهبوط ، ممَّا قد يؤدِّى إلى تحطيم ضلوعك ، ثم إنك تنتعل (بوتًا) من الجلد ، سيحُول دون اتساخ قدميك .

قال له (ممدوح) ، وهو يعدّ السُّلَّم للهبوط :

— حسنًا .. فليكن .. فليست هذه هى المرة الأولى التى أخوض فيها مثل هذه المناطق .

واستحثه الطيّار وهو ينظر حوله فى قلق بقوله :

— فلتسرع بالهبوط ، قبل أن يطلق بعضهم الرصاص على الطائرة ، فالانتظار فى مثل هذه الأماكن المخيفة ، أمر يبعث على القلق .. ألا تشعر بالخوف وأنت فى طريقك إلى هذا الجحيم ؟

فأجابه (ممدوح) وهو يهبط درجات السُّلَّم ، والابتسامة على وجهه :

— حتى الآن لا أجد هذا الخوف فى نفسى .. ربما فيما بعد .. وعندما نلتقى قد أستطيع أن أخبرك بحقيقة ما انتابنى من أحاسيس فى هذه المنطقة التى تثير المشاعر ..

قال ذلك وهو يقفز إلى الأرض الطينية فى رفق .. أمّا الطيّار فقد استدار عائدًا بطائرته ، وهو يتمتم قائلًا لنفسه :

— هذا إذا التقينا مرّة أخرى يا عزيزى ، فلا أظن أنك ستنجو من هذا الجحيم .

جعل (ممدوح) يخوض فى الأرض الطينية بصعوبة بالغة ، فقد كان الوحل يغطى ساقيه .. وبين الحين والحين كان يلقى نظرة إلى الخريطة التى قدّمتها له السلطات الهندية للاستهداء بها فى الغابات .

وكانت الغابة على درجة عالية من الكثافة ، وقد تشابكت فروعها وأغصانها .. وأضفى عليها الليل بظلمته مزيدًا من الرَّهبة والمهابة .

ونشط (ممدوح) يشق طريقه وسط الفروع المتشابكة ، مستعينًا بسكين طويل حادّ ، يقطع به ما يعترضه من هذه الفروع .. وكان قد دهن جلده بسائل خاص ، يقيه لدغ الحشرات ، التى كانت أسراب منها تعيش داخل هذه الأدغال ، لكن طنينها المزعج الذى لم ينقطع أورثه صداعًا لا يطاق ..

وبعد انقضاء ساعة كاملة من السير المضنى ، وسط هذه الغابات الكثيفة التى بدت ولا نهاية لها ، أيقن (ممدوح) أن الخريطة التى معه لا تجدى فتيلًا ، وأنها لن تفيده شيئًا ، وسط متاهة هذه الأدغال ..

وكان التعب قد أنهكه ، فكفَّ عن السير ، ووقف يستند إلى أحد جذوع الأشجار الضخمة ، حتى يستردَّ بعضًا من قواه ..

ولكن .. فجأة .. خيِّل إليه أن صوتًا غريبًا أشبه بزمجرة وحشية ، يطرق سمعه من خلفه .. فاستعان بكشَّاف ضوئى ، ليكشف عن مصدر هذا الصوت بين أوراق الأشجار وفروعها المتشابكة .. غير أنه لم يهتد إلى شىء ، فأعاد الكشَّاف إلى حزامه ، ورشق السكِّين الحاد الذى يستخدمه فى قطع فروع الأشجار ، فى جذع الشجرة التى يستند إليها .. وجلس أسفلها وهو يقول لنفسه :

ـــ لا ريب أنها محض خيالات وأوهام ، من أثر السير الطويل فى هذه الأحراش ، وتعب الأعصاب من طنين الحشرات المزعجة .

لكنه لم يكد يستكين فى جلسته على الأرض ، حتى عاد يسمع الزمجرة الوحشية من جديد .. كما التقطت أذناه صوت حركة غير طبيعية وراء الأشجار ..

وهنا حدَّثته نفسه ، وقد تحفزت عضلاته :

ـــ لا يمكن أن تكون أذنى مخطئة هذه المرة أيضًا .

وأضاء الكشَّاف ، مسلِّطًا ضوءه على الاتجاه الذى رجح أن الزمجرة الوحشية تصدر منه ..

وسقطت دائرة الضوء على الأغصان والأوراق الخضراء ، كاشفة عن وجه مخيف لغوريلَّا متوحشة ، وقد برزت أنيابها المخيفة تلمع فى الظلام .

وارتعدت فرائص (ممدوح) ، عندما وقعت عيناه على هذا الوحش ، فى حين اندفعت الغوريلَّا المتوحشة تحطِّم فروع الأشجار ، لتبرز أمامه بجسمها الضخم ، وهى تطلق صوتًا مرعبًا ..

وجاهد (ممدوح) فى أن يتمالك نفسه ، فهب واقفًا فى مواجهة هذه العيون الوحشية ، التى كانت تحدِّق فيه وهى تكاد تطلق شررًا ، فى حين كانت يده تتحرك ببطء ، إلى مسدسه المعلَّق فى حزامه من الخلف ..

لكن بدا وكأنَّ المخلوق المخيف كان يقرأ أفكاره ، ويفطن إلى نواياه .. فلم تكد يده تلمس المسدس ، حتى اندفعت الغوريلا إليه ، لتغرس أظفارها الحادَّة فى ذراعه وكتفه ، وتحمله إلى أعلى كدمية صغيرة ، وتلقى به إلى الأرض ، مرتطمًا بأفرع الأشجار المتشابكة .

كانت الصدمة عنيفة لا طاقة لـ (ممدوح) بها ، وكادت تفقده وعيه ، ولكنه تحامل على نفسه ، وتناهض للوقوف من جديد على قدميه .. ولكن الغوريلا الضخمة لم تمهله ، بل دفعته بقوة ، ليرتطم بجذع الشجرة الذى كان جالسًا أسفله منذ قليل .

كانت الصدمة هذه المرة أعنف من سابقتها ، فقد شعر (ممدوح) بآلام لا تطاق فى رأسه ، من عنف الصدمة بجذع الشجرة الصلب .. لكن متانة بنيانه وصلابة عزيمته ، حالا دون أن يسقط هذه المرة مغشيًا عليه .. ووقتئذ كان الموقف ينبئ بنهاية حتمية .. فبدون مسدسه ، وفى مواجهة هذا العملاق المتوحش ، فالمعركة خاسرة ولا ريب ، وستنتهى بهلاكه ..

لكن فى اللحظة التى كان (ممدوح) فيها يحاول أن يتشبَّث بجذع الشجرة ؛ كيلا يتهاوى إلى الأرض .. لمست أصابعه السكِّين الحادَّة التى كان قد غرسها فى ذلك الجذع ..

واستماتت قبضة (ممدوح) على السكِّين بقوة ، إذ غدت هى أمله الوحيد الذى لا أمل سواه ، للنجاة من ميتة محقَّقة ..

فلم تكد الغوريلا تعلن عن تفوُّقها ، وتطلق صوتًا عاليًا مرعبًا ، وتدقُّ على صدرها بقبضتيها ، استعدادًا للقضاء عليه ، وحسم المعركة ، حتى استدار فى مواجهتها ، وقد أمسك بالسكِّين الحادَّ فى قبضته ..

وفى اللحظة التى كشَّرت فيها الغوريلا عن أنيابها ، وهى تنقض عليه لتنشب مخالبها فى جسده من جديد .. دفع (ممدوح) بالسكِّين الحاد فى صدرها حتى غمده ، فى طعنة نجلاء ... وبرغم عنف الطعنة ونفاذها ، إلا أن الغوريلا بدت وكأنها لم تتأثر بها .. فقد حملت (ممدوح) إلى أعلى

يديها القويتين ، وقد تأهبت لتقذف به إلى جذع الشجرة الصلب ، لتحطم ضلوعه أولا ، ثم تمزق جسده من بعد ..

وظل (ممدوح) معلقًا فى الهواء ، وهو مرفوع عاليًا باليدين القويتين عدة ثوانٍ ، بدت له وكأنها دهر .

ثم لم تلبث قوى الغوريلا العملاقة أن خارت ، بتأثير الطعنة النجلاء .. وبدأت يداها تضعفان شيئًا فشيئًا ، وتهاوت إلى الأرض وهى تعانى سكرات الموت ، بعد أن سقط (ممدوح) من بين يديها ، سقطة أقل وطأة مما كانت تعدّها له .

وأطلقت الغوريلا صوتها الأخير ، قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

على حين كان (ممدوح) يرقد إلى جوارها ، وهو لا يصدق أنه قد أفلت من نهاية مروّعة ..

* * *

٥ ـ صراع الكوخ ..

استأنف (ممدوح) سيره وهو منهك القوى ، بين أحراش (بنجولا) ، وقد أصبح فى موقف لا يحسد عليه ..

فها هو ذا الفجر قد بدأ يلوح ، والخريطة التى معه لا تهديه إلى طريق بعينه .. ولا شىء أمامه سوى أشجار كثيفة متشابكة ، وحشرات من أنواع مختلفة زاحفة وطائرة ..

بدا وكأن صلته بالعالم بأسره قد انقطعت ، فى هذا التيه الذى لا ينتهى ..

وظل يسير على غير هدى ، محاولًا العثور على مكان يصلح ، لكى يريح فيه جسده بضع ساعات ، من عناء هذه المسيرة الشاقة ، والمجهود المضنى الذى بذله فى صراعه مع الغوريلا ..

وأخيرًا .. بلغ أرضًا منبسطة عارية من الأشجار ، اللهم إلا ثلاثة أكواخ مهجورة ، كانت فيما يبدو جزءًا من أطلال قرية مهجورة .

واستقر عزمه على أن يستريح هناك قليلًا ، فى انتظار شروق الشمس ..

وتقدَّم بحذر فى اتجاه أحد هذه الأكواخ ، التى شُيِّدت من جذوع الأشجار ، وقد شهر مسدسه تحسبًا للمفاجآت .. وأسرع بتصويب مسدسه تجاه شىء تحرك سريعًا داخل الكوخ .

ولكنه كشف أنه ليس إلَّا (سحلية) متوسطة الحجم ، أسرعت بالفرار ، وقد أزعجها ضوء الكشَّاف .

وعندما أيقن (ممدوح) من خلو المكان ، ألقى بجسده المنهك على أرض الكوخ الترابية ، ولم يلبث أن راح فى سبات عميق .

ومرَّت عليه قرابة الساعة وهو مستغرق فى النوم ، حتى بدأ ضوء النهار يتسلَّل إليه ..

ولفرط تعبه واستغراقه العميق فى النوم ، لم يشعر باليد التى امتدت لتجرِّده من مسدسه ، وتعبث بحقيبته الجلدية .

لكن ضوء الشمس الذى اقتحم الفجوات الواسعة بين جذوع الأشجار ، التى بنى منها الكوخ ، سقط على عينيه ليقلقه من غفوته ..

نهض (ممدوح) متثاقلًا وهو يفرك عينيه .. ليرى أمامه أحد قطاع الطرق ، منتصبًا فى منتصف الكوخ ، يعبث بحقيبته .

شعر اللص بيقظة (ممدوح) ، فاستدار إليه وقد أمسك فى يده ببلطة حادَّة .

امتدت يد (ممدوح) فى حركة غريزية ، يتحسَّس مسدسه وهو ينهض واقفًا .. لكنه كشف أنه ليس فى مكانه .

وابتسم قاطع الطريق ابتسامة ساخرة ، وهو يخرج مسدس (ممدوح) من جيبه قائلًا له :

— هل تبحث عن هذا ؟.

أجابه (ممدوح) وهو ينظر إليه متحفزًا :

— من أنت ؟ وماذا تفعل بحقيبتى ؟

أجابه الرجل فى تحدٍّ :

ـــ كما ترى .. إننى أسرقك .. وقد كنت أعتزم أن أنهى الأمر بهدوء دون أن أقلقك ، أو أوقظك من النوم .. لكن ما دمت قد صحوت بنفسك ، فأعتقد أنك ستوفر علىَّ عناء تفتيشك ، وتعطينى ما معك من نقود .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. إذا كان الأمر لا يعدو مجرّد سرقة .. فليس معى نقود .. ليس معى سوى هذا الخاتم الذهبى ، الذى أضعه فى إصبعى .. يمكنك أن تأخذه .

وتظاهر (ممدوح) بأنه ينزع الخاتم من إصبعه ليقدمه إلى اللص .. لكنه فى الحقيقة نزع الغطاء الدائرى منه ، كاشفًا عن إبرة صغيرة مدبّبة ، سرعان ما انطلقت من تجويف الخاتم كالقذيفة إلى يد الرجل الممسكة بالمسدس ، لتنغرس فيها .

وأطلق الرجل صرخة مدوّية من شدة الألم ، وقد سقط المسدس من يده .

انتهز (ممدوح) الفرصة ليهاجمه ، وقد غفل عن وجود زميل آخر ، كان يقف خلفه ..

ففى اللحظة التى هم (ممدوح) فيها بمهاجمة اللص ، كان زميله قد هاجم (ممدوح) من الخلف ، وهو يلف حول عنقه حبلًا من المطّاط ..

وشعر (ممدوح) بالاختناق .. فأمسك بالحبل المطّاطى بيده ، محاولًا إبعاده عن عنقه .. لكن دون جدوى .. فقد شدّد خصمه من الضغط بالحبل .. أما الآخر فقد نزع الإبرة الحادّة من معصمه وقد تملّكه غضب شديد .. وأسرع يتناول بلطته الحادّة ، وتقدم بها نحو (ممدوح) ، الذى كان لم يزل يجاهد فى إبعاد الحبل عن عنقه .

وقال له وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

ـــ كان من الأفضل لك أن تختار رصاصة واحدة تنهى بها حياتك ؛ لأننى سوف أمزّقك بهذه البلطة الحادّة إربًا إربًا ..

هنا شعر (ممدوح) بأن الموت يطبق عليه من أمام ، ومن خلف ، وقر قراره على ألا يستسلم لنهايته ، وأن يقاوم اللّصين دفاعًا عن نفسه ، بكل ما أوتى من قوة ..

فأطلق كوعه بضربة ساحقة إلى صدر الرجل ، الذى كان يزيد فى ضغطات الحبل حول عنقه ، فندت عنه صرخة أليمة ، وتراخت قبضتاه عن الحبل .

واغتنم (ممدوح) الفرصة ، فأسرع يقبض على ذراعه بيد قوية ، ويديره بسرعة البرق فى مواجهة زميله ،فى نفس اللحظة التى رفع فيها هذا بلطته إلى أعلى ، ليهوى بها على رأس (ممدوح) .. وهوى حدّ البلطة المدبّب ، ليستقر فوق رأس زميله ، الذى أطلق صرخة مدوّية ليسقط على الأرض ، وقد شجت رأسه ، والدماء تنزف منه بغزارة ..

بهت اللص صاحب البلطة ، وهو يرى زميله مجندلًا عند قدميه ، وعندما همّ مرة أخرى أن يرفع البلطة ليشج بها رأس (ممدوح) ، كان الأخير قد أطبق على يده ، واستطاع أن يلويها إلى الخلف ، ثم يضغط عليها بقوة ، حتى أفلت البلطة من قبضته ..

وعندما أيقن (ممدوح) من سقوط البلطة ، أسرع ينهال عليه بلكمات عنيفة متلاحقة .. الواحدة تلو الأخرى .. حتى تهاوى بدوره أرضًا .

وعاد (ممدوح) يلتقط مسدسه ، ويصوّبه إلى رأس اللص ، الذى صرخ فى هلع :

— لا .. لا تقتلنى . أرجوك لا تطلق النار ؛ فأنا لست إلا لصًا حقيرًا ..

قال له (ممدوح) :

— أعرف ذلك .. إنك تعرف الكثير عن هذه المنطقة ، وأريد منك أيها اللّص الحقير أن ترشدنى إلى وكر (روشان خان) .

قال له اللص مترددًا :

— (روشان خان) ؟! . لكن الاقتراب من منطقته أمر محال ، فرجاله يملئون المكان ، وهم من أخطر قطاع الطرق وأشرسهم ، هذا فوق ما يملكونه من أسلحة حديثة ، تجعل الاقتراب منهم أمرًا محرّمًا .

ممدوح :

ـ لاتخف ، فلن أجعلك تقترب إلى الحد الذى يهدد حياتك .. أريد منك فقط أن ترشدنى إلى المكان ، وذلك مقابل تنازلى عن حقى فى قتل لص حقير ، أراد سرقتى وقتلى .

قال اللص فى خوف :

ـ حسنًا .. سأرشدك إليه .

* * *



٦ ـ وكر الأشرار ..

بلغ (ممدوح) مشارف المنطقة التى ينزل بها (روشان خان) وأتباعه ، بعد أن أرشده اللص إلى الطريق .

ومن بين الأشجار وقعت عينا (ممدوح) على وكر ذلك الشيطان ..

كان أشبه بإحدى الثكنات العسكرية .. فقد كانت هناك أسوار من السلك الشائك ، تحيط بمقر (روشان) وعدد من الرجال المسلحين ، يقومون بنوبة حراسة ، بالإضافة إلى برج حراسة يحتله أحدهم ، وأمامه كشاف دائرى كبير ، يضىء به المكان حول المعسكر .

وظل (ممدوح) رابضًا فى مكانه وهو مستلق على الأرض ، حتى بدأ الظلام يخيم .. ثم قرر التسلل إلى داخل معسكر اللصوص .. أخذ يرقب حركة الكشاف الدائرى الذى كان ضوءه يغمر المكان ، وعيناه مشدودتان إلى تحركات

الشخص الذى يديره .. وتحيَّن فرصة ابتعاد الضوء عن المكان الذى يربض فيه ، لينهض على ركبتيه سريعًا ، معدًّا قاذفًا خاصًا أحضره معه فى حقيبته الجلدية .

وثبَّت (ممدوح) فى القاذف سهمًا مزوّدًا بكبسولة مخدرة ، ثم عاد بنفس السرعة لينبطح أرضًا بين أوراق الأشجار ، فى اللحظة التى كان فيها ضوء الكشاف يغمر المكان ..

وانتظر حتى أدار الرجل الكشّاف إلى الجهة الأخرى ، وابتعد عنه الضوء ، لينتصب قائمًا على قدميه ، وقد صوّب القاذف فى اتجاه الرجل القائم خلف الكشاف .

وانطلق السهم المخدّر ليستقر فى ظهر الرجل ، قبل أن يدير الكشّاف إلى الجهة التى يقف بها (ممدوح) .. وقبل أن يصدر عن الرجل صوت ما ، كان تأثير المخدّر قد فعل فعله السريع .. فتهاوى الرجل داخل برج الحراسة فاقدًا وعيه ..

انتهز (ممدوح) الفرصة ليقترب أكثر من معسكر (روشان خان) ، من الجهة التى يحرسها أحد اللصوص ..

وعاد ليضع سهمًا مخدِّرًا آخر فى القاذف الذى حمله على كتفه ، ليصوِّبه إلى كتف اللّص القائم بالحراسة ، فسقط بدوره فاقد الوعى .

وبخطوات سريعة اقترب (ممدوح) من السلك الشائك ، يمزقه بإحدى الآت الحادَّة ، ثم نفذ من خلاله إلى داخل معسكر اللصوص .

كان المكان بالداخل يتكوَّن من عدد من الأكواخ الخشبية ، يتوسطها كوخ كبير تلفه الأشجار .. ورجَّح (ممدوح) أن يكون ذلك الكوخ هو مقر (روشان خان) .

كان الظلام يشمل المكان ، عدا بعض الأضواء الخافتة المنبعثة من داخل الأكواخ .

وراح (ممدوح) يقترب بحذر من الكوخ الكبير .. لكن أحد رجال (روشان) فاجأه وهو يدنو من النافذة الخشبية بالكوخ .. فشهر سيفًا حادًّا فى وجهه قائلاً له :

ـــ قف مكانك .

ولم يمهله (ممدوح) .. بل فاجأه هو بدوره بركلة قوية من قدمه فى وجهه أفقدته توازنه .

وعاد الرجل ليتماسك وقد جُنَّ جنونه ، فأخذ يطيح بالسيف بكل قوة فى وجه (ممدوح) ، الذى جعل يتفاداه وهو يتراجع بكتفه يمينًا ويسارًا ..

ثم فى حركة سريعة حادة انحنى برأسه إلى أسفل ، مرتكزًا على ركبتيه ، فإذا بالسيف يصدر صفيرًا حادًا وهو يشق الهواء .

وانتهز (ممدوح) لحظة اندفاع الرجل بكل جسده ، وقد وضع ثقله فى قبضته الممسكة بالسيف ، ليوجّه له بسن حذائه ضربة قوية من ضربات الكاراتيه .

وترنّح الرجل إثر الضربة العنيفة .. لكنه عاد يتماسك من جديد ، وقد أمسك سيفه بكلتا يديه بعد أن تضاعف جنونه .

وفى اللحظة التى تأهب فيها للإطاحة بعنق (ممدوح) ، كان الأخير قد قفز فى الهواء قفزة بارعة ، مسددًا له الضربة الأخيرة بقدمه ، أجهزت عليه ، وطرحته أرضًا .

ودون أن يدع له الفرصة لاسترداد وعيه ، كان قد أجهز عليه بلكمة قوية ، أفقدته القدرة تمامًا ، وكومته فاقد الإدراك ، لا حراك به ..

وجرى (ممدوح) بين الأشجار الكثيفة بجوار كوخ (روشان خان) ، حيث قام باستبدال ملابس اللّص بملابسه ، بعد أن قيّده وكمّم فمه .. وعاد ليأخذ مكانه على مقربة من الكوخ ، متخذًا دوره كأحد رجال الحراسة .

تلصّص (ممدوح) من خلال أعواد الخيزران الخشبية ، التى تغطّى جزءًا من الكوخ ، ليبصر (روشان خان) جالسًا ومعه شخص متقدّم العمر ، يرتدى الملابس الأوربية ، على نقيض (روشان) وعصابته .

ودقّق (ممدوح) النظر ليشاهد ذلك الرجل ، وهو يضع فوق إحدى عينيه عدسة كالتى يستخدمها الصّيّاغ ، يفحص بها مجموعة من الجواهر ، كان يعرضها عليه (روشان) زعيم اللصوص ، من صندوقٍ موضوع أمامهما على المائدة .

وسمع الرجل يقول له :

ــ حسنًا .. سأدفع لك عشرة ملايين دولار ، مقابل هذه الجواهر يا عزيزى (روشان) .

أجابه (روشان) بحدّة :

ــ هل جننت ؟.. إن هذه الجواهر تساوى مليار دولار ، وأنت تعرض عشرة ملايين فقط !!

وردّ عليه الرجل بخبث قائلًا :

ــ نعم .. هذا إذا لم تكن هذه الجواهر مسروقة .. وتمت سرقتها فى عملية دوليّة يعرف بها العالم كله .. ثم لا تنسَ أننى سأواجه صعوبات جمة فى عرضها للبيع من جديد .. إن جواهر المهراجا (مانچام) معروفة دوليًا .. والاتجار بها مخاطرة كبرى ..

قال له (روشان) بعصبيّة :

ــ إنك صائغ ، وتعرف جيدًا كيف تعيد صياغتها من جديد لتبدو مختلفة ، ولكنك تستثمر الظروف أيها الوغد .

وتضاحك الرجل قائلًا :

ــ إننا لا يختلف بعضنا عن بعض كثيرًا يا عزيزى ، سوى أنك أكثر ميلًا للعنف ، واستخدام السلاح .

روشان :

ــ سأقبل منك عشرين مليون دولار ، مقابل هذه الجواهر .

أجابه الرجل بتصميم :

ــ عشرة ملايين فقط .. إنك لن تجد سعرًا أعلى من هذا .. بل إنك لن تجد من يشترى منك هذه الجواهر على الإطلاق ، سوى شخص يقبل المخاطرة مثلى .

روشان :

ــ إذن .. دعنى أفكّر .

الرجل :

ــ فكّر كما تشاء .. وأنت تعرف كيف تجدنى .

وبينما (ممدوح) يصيخ بسمعه لهذا الحوار الدائر بين الرجلين ، إذا هو يفاجأ بأربعة من أعوان (روشان) ، وقد أحاطوا به ، شاهرين مدافعهم الرشاشة فى وجهه .

صاح فيه أحدهم فى غلظة :

— فيمَ وقوفك هنا أيها الجاسوس الحقير ؟!

* * *



٧ — بئر الموت ..

ساق اللصوص (ممدوح) إلى زعيمهم (روشان) لاستجوابه .. قال له (روشان) بحدّة :

— من أنت ؟ وماذا جاء بك إلى هنا ؟.

ممدوح :

— لا يهمُّ من أنا ، ولكن ما جاء بى إلى هنا ، هو سرقتك لجواهر المهراجا (مانچام) ، وقد جئت من أجل استردادها .

فأطلق (روشان) ضحكة عالية ، قائلًا له :

— وهل أقنعوك أنك تستطيع أن تفعل ذلك ؟ لقد أرسلوا إلىّ من قبل قوّات كاملة من الشُّرطة ، لاستعادة بعض المسروقات الأخرى ، ولكنهم فشلوا فى ذلك .

ممدوح :

— ربما اعتقدوا أننى سأكون أكثر فائدة من قوات الشُّرطة .

وضحك (روشان) قائلاً :

— إنك تبدو واثقًا من نفسك أيها الأجنبى .. ولكن سرعان ما سوف تكشف أنه كان من الأجدر بك أن تطلب الصفح من (روشان) ، بدلاً من التظاهر بهذه الثقة البلهاء .

قال له (ممدوح) فى هدوء :

— أوتعتقد أننى أطلب الصفح من قاطع طريق جبان ، يختبئ فى هذه الأدغال النائية ، كما تختبئ الفئران فى جحورها .

فاستشاط (روشان) غضبًا ، وهوى بصفعة قوية على وجه (ممدوح) ، وهو يقول :

— سيريك قاطع الطريق ، كيف يكون عقاب الوقحين أمثالك ..

أقسم أن أجعلك تطلب الصفح جاثيًا على قدميك .

* * *

قيد رجال (روشان) (ممدوح) فى حبل طويل ، يتدلى من رافعة تتصل ببكرة من الحبال ، يتم التحكم فى تحريكها إلى الطول المناسب .. وأدلوا به داخل بئر جافة ، بها عدد من الضباع المتوحشة .. وبدءوا يديرون بكرة الحبال ، حتى أصبحت قدماه غير بعيدتين من الضباع الضارية ..

وما أن رأت الضباع (ممدوح) يتدلى أمامها ، حتى راحت تعوى وتزمجر فى وحشية بالغة ، تأهبًا لافتراسه .

وفى أعلى البئر وقف (روشان جان) ورجاله ، ينظرون إلى (ممدوح) وهو يجاهد فى رفع قدميه عاليًا ، حتى لا تصل إليها مخالب الضباع ، التى أخذت تتقافز فى الهواء محاولة التهامه ..

وراح (روشان) وأتباعه يطلقون ضحكات ساخرة هازئة ..

صاح (روشان) فى (ممدوح) هازئًا :

— أترى هذه الضباع ؟ إنها جائعة ، لم يقدم لها طعام منذ يومين ، وسيسعدها كثيرًا أن تكون وجبتها المنتظرة ،

التى تسدّ بها رمقها ، ولن تترك منك شيئًا للنسور .. ومع ذلك فسوف أعمل على حرمانها بعض الوقت من هذه الوجبة الشهية ، حتى يتمتع رجالى بمزيد من حركاتك البهلوانية .

وأشار إلى أحد رجاله بتحريك بكرة الحبال المعلّق بها (ممدوح) قليلًا إلى أسفل .

ولم يكد الحبل يتدلى بـ(ممدوح) إلى مسافة أكثر عمقًا ، حتى كاد أحد الضّباع يمزّق ساقيه ، عندما قفز إلى أعلى ، لينشب مخالبه فيهما .. لكن (ممدوح) أسرع بضم ساقيه إلى صدره فى حركة سريعة ، بعد أن تمزّق قماش (بنطلونه) ، وأصابته بعض الخدوش فى ساقيه من مخالب الضبع .

ولبث (ممدوح) غير قليل على هذا الوضع الحرج ، والعرق يتصبّب منه غزيرًا ، وغدا لا يفصله عن الموت الرابض فى انتظاره فى بئر الموت هذه سوى بضعة سنتيمترات قليلة .

وبينما (ممدوح) على هذا الوضع العصيب ، ورجال

(روشان) يطلقون ضحكات السخرية والاستهزاء ، لتختلط بعواء الضّباع .. إذا هو يسمع فجأة أحدهم يطلق صرخة مدوّية وأصوات طلقات الرصاص تدوّى فى أذنيه .

لم يكن (ممدوح) فى موقف يتيح له التفكير فيما يحدث فوقه برغم بشاعته .. إذ اجتاح معسكر (روشان) فجأة مجموعة ضخمة من الرجال المسلحين ، وهم يرتدون أقنعة نقشت عليها صورة الجمجمة .. وأخذوا يطلقون النار على (روشان خان) وأعوانه من كل جانب .

واستغل المقنّعون عنصر المفاجأة ، وانهماك رجال (روشان) حول البئر لمشاهدة (ممدوح) ، وأمطروهم بوابل من الرصاص ، واقتحموا أكواخهم وأحرقوها .. وحاول (روشان خان) الهرب ، ولكن أحد المقنّعين لمحه ، فأطلق عليه عدة طلقات أصابته فى صدره ورأسه ، فجعل يترنح ليتردّى من أعلى البئر إلى أعماقه ، حيث كانت الضّباع الضّارية فى انتظاره ..

وهكذا نال النهاية التى كان يعدها لـ(ممدوح) ، حيث تولّت الضّباع تمزيق جسده وافتراسه .

أما (ممدوح) الذى لم يكن يدرك شيئًا عن حقيقة ما يجرى فوقه ، فقد أخذ يؤرجح جسده يمينًا ويسارًا بقوة ، فى محاولة ليلمس جدار البئر ، ويثبت قدمه فوق أحد أحجاره ، أو نتوءاته البارزة .

وبعد أكثر من محاولة فاشلة ، وبمجهود عنيف ، تمكَّن من تثبيت إحدى قدميه فوق جزء من حجر بارز .

واتخذ (ممدوح) الوضع الأفقى ، متشبثًا بتثبيت قدميه الاثنتين على جدار البئر ، وبدأ يحاول الصعود وهو على هذا الوضع البالغ الصعوبة ، وكأنه أحد لاعبى الأكروبات .

وأخيرًا .. أفلح فى الوصول بعد جهد شاق إلى سور البئر ، حيث ثبت قدميه على السور ، ثم دفع نفسه بقوة ليهبط على الأرض خارجه .. وفى اللحظة التى انتصب فيها (ممدوح) واقفًا ، فاجأه أحد المقنَّعين ، وهمَّ أن يطلق عليه نيران مدفعه .. لكن (ممدوح) استخدم قدميه المدرَّبتين فى تسديد ضربات قوية سريعة ومتلاحقة إلى وجه المقنَّع ، لم تمكِّنه من استخدام المدفع الذى سقط من يده ..

وتكفَّلت الضربة الأخيرة التى سدَّدها له بالإطاحة به من فوق سور البئر ، ليتردَّى فى أعماقه لاحقًا بـ (روشان) .

وأدار (ممدوح) عينيه فيما حوله ، ليجد أحد أتباع (روشان) صريعًا ، وقد سقط خنجره إلى جواره .. فالتقطه بأطراف أصابعه ، وأخذ يحاول تحرير رسغيه من الحبل الملتف حولهما .

وبعد مجهود كبير ، تمكَّن (ممدوح) من تمزيق الحبال ، ووقف ليرقب انسحاب المقنَّعين من معسكر (روشان خان) ، بعد أن أتموا مهمتهم ، واستطاعوا القضاء على جميع رجال (روشان) وأعوانه .

وأخذ (ممدوح) يتنقل بين جثث الضحايا المبعثرة على الأرض ، فى كل مكان من أرجاء المعسكر .

وفيما هو كذلك ، استوقفه منظر أحد الرجال المقنَّعين المصابين ، وهو يحاول أن يستند إلى جدار كوخ من الأكواخ بعد أن نال طعنة قاتلة ، طعنه بها أحد أعوان (روشان) .. لكن الرجل لم يلبث أن تهاوى إلى الأرض ، بعد أن

أخفقت محاولته .. فأسرع إليه (ممدوح) ليستوثق مما إذا كان لم يزل على قيد الحياة أو لا .. لكن تبيَّن له أنه قد مات .

واسترعى نظره سلسلة معلَّقة على صدره ، بها أيقونة مستديرة ، عليها رسم لطائر أسطورى ذى ثلاثة رءوس متشابهة ..

غير أنه قبل أن يطيل النظر فى الرسم الغريب الذى على الأيقونة .. إذا يد تمتد لتقبض على ذراعه بقوة .

فرفع (ممدوح) ناظريه — وكان جاثيًا على ركبته — لصاحب اليد التى قبضت على ذراعه ، فإذا هو أحد أتباع (روشان) مصابًا بعدة رصاصات فى ظهره وكتفه ، والدماء تنزف منه بغزارة .

وحاول (ممدوح) أن يبعد ذراعه عن قبضة الرجل الملطَّخة بالدماء ، ولكنه ظل متشبثًا بهما ، قائلًا له والكلمات تتعثَّر خارجة من فمه بصعوبة :

— إنك من أعوان المهراجا ولا شك ، قل له إننى سأعيش .. سأعيش حتى أنتقم منه .

ووَدَّ (ممدوح) أن يساعد الرجل المصاب ، لكنه بدا مصمِّمًا على إكمال كلماته ، إذ تابع حديثه :

— لقد خاننى بعد كل ما بذلته من أجله .. وخيانته لى لن تمرَّ بدون عقاب .. قل له : إن (سيردال) سينتقم .. أتسمعنى ؟ سينتقم ..

لكن بدا أن الرجل لن يستطيع أن يعيش لينتقم من أحد .. إذ لم تلبث يداه أن تراختا من فوق ذراع (ممدوح) لتسقطا بجواره ، لافظًا أنفاسه الأخيرة .. تاركًا (ممدوح) نهبًا لتساؤلات شتى ، عن مغزى كلماته الغريبة .

* * *



٨ ـــ الرأس القاتلة ..

استأنف (ممدوح) سيره وسط أحراش (بنجولا) ، محاولًا الاستعانة بالخريطة مرة أخرى ، للوصول إلى الموقع الذى هبط فيه من الطائرة .. حيث كان من المتفق عليه أن يعود الطيَّار الهندى إلى ذلك الموقع ، لالتقاطه فى ساعة محدودة من مساء كل ليلة ، وذلك لمدة ثلاث ليالٍ فى حالة ما إذا كان لا يزال على قيد الحياة .

وكان باقيًا على وصوله إلى المستنقعات ساعتان كاملتان ، فأخذ يسرع الخطا للّحاق بالطائرة ، قبل أن تصل ، معرِّضًا نفسه مرة أخرى لما قد تخفيه الغابة من أخطار .

وبينما هو فى طريقه إلى المستنقعات ، معتمدًا تارة على الخريطة التى معه ، وتارة على ما سجلته ذاكرته القوية من معالم الطريق .. إذا هو يشعر فجأة بجسم ليِّن ، يلتف حول ساقه فى سرعة كبيرة .

ونظر (ممدوح) إلى ساقه ، ليجد ثعبانًا من نوع الكوبرا يزيد طوله على المترين ، وقد لفَّ جسمه حول ساقه ، فى حين كان رأسه البشع قد ارتفع عاليًا فى مواجهة صدره .

وتأهَّب الثعبان للانقضاض عليه بأنيابه السامة ، غير أن (ممدوح) قبض على رأس الثعبان بكل ما أوتى من قوة ، ليحُول بينه وبين أن ينشب أنيابه المخيفة فى جسده .

وشدَّد الثعبان من ضغط عضلات جسمه على ساق (ممدوح) ، ليجعله يخفِّف من عنف قبضته .. لكن (ممدوح) كان يعى تمامًا أن حياته رهينة إبعاد هذا الرأس القاتل عن الوصول إليه .

كان الصراع هائلًا ، فلم يكن فى وسع (ممدوح) أن يظل على هذا الوضع إلى ما لا نهاية .. خاصة وقد بدأ الثعبان يزيد من ضغطات عضلات جسمه حول ساق (ممدوح) ، حتى شعر الأخير بها تكاد تحطِّم .. وفى نفس الوقت لم يكن يستطيع إبعاد قبضته عن ذلك الرأس

الميت ، وإلّا وجد أنياب الكوبرا تنفذ بسمومها إلى جسده ، فتكون نهايته الحتمية ..

وبرقَتْ أمامه بارقة أمل ، عندما لمح أحد النباتات الشوكية ، ولمح أشواكها الحادة المدبّبة بارزة على ضوء القمر .. فشرع يحاول أن يدنو من هذه النباتات ، وهو يجر الثعبان معه جرًّا ..

ثم رفع رأس الثعبان إلى أعلى ، وهوى بها بكل قوة فوق الأشواك ، ليغرس بعضها فى رأسه ..

وحاول الثعبان أن يخلّص عنقه من الأشواك الإبرية الحادة التى انغرست فيه ، لكن (ممدوح) كان قد استل مسدسه سريعًا ، ووجّه طلقتين إلى الرأس القاتل ، ليقضى على الثعبان قضاءً تامًا ..

ثم تابع (ممدوح) طريقه ، حتى وصل إلى المستنقعات ، قبل الموعد المحدّد لوصول الطائرة بعشر دقائق .. ولبث واقفًا فى انتظار وصولها على أحرّ من الجمر .. لكنها لم تأت .. وانقضت أكثر من عشرين دقيقة

على الموعد المعيَّن لعودتها دون أن يسمع أزيزها .. مما رجح معه أنهم ربما قد نسوه .. وأخيرًا التقطت أذناه صوت محركات الهليكوبتر ، فتجدّد الأمل فى صدره ..

وإن هى إلّا لحظات حتى كانت الطائرة تحلّق فوقه ، وتلقى له بسُلّم من الحبال أخذ يصعد فوقه ..

وعندما أخذ جلسته فى مقعدها الخلفى ، وجد الرند (رفعت) فى انتظاره ، قائلًا له :

ـ حمدًا لله أنك لم تزل بخير .

ممدوح :

ـ لقد كنت أعتقد أنكم نسيتمونى فى هذا الجحيم .. إن مهمتى لم تحرز نجاحًا يذكر .. فقد اختفت الجواهر كما اختفى معها (روشان خان) وعصابته من الوجود .

الطيار :

ـ أدخلت إلى وكر (روشان خان) وعصابته ؟.

ممدوح :

ـ نعم .

الطيار :

— إذن فأنت محظوظ يا صديقى ؛ لأنك لم تزل على قيد الحياة .

رفعت :

— ماذا حدث بالضبط ؟.

ممدوح :

— لنرجئ التفاصيل لما بعد الهبوط بالطائرة .

الطيار :

— إن المهراجا يرغب فى مقابلتك فى قصره بـ (راجكت) .

ممدوح :

— سألتقى به فى الصباح ، فأنا الآن فى أمسّ الحاجة إلى قسط من النوم .

* * *

٩ — الأيقــونة ..

التقى (ممدوح) بالمهراجا فى قصره الأنيق بمدينة (راجكت) الهندية .. حيث أطلعه على تفاصيل مغامرته ، وإخفاقه فى استعادة الجواهر ، بعد العثور عليها مع (روشان خان) وعصابته .

قال له المهراجا :

— لا بدّ أن عصابة من العصابات المتفرّقة فى تلك الغابات النائية ، قد بلغها أمر سرقة (روشان) للجواهر ، فقامت بمهاجمته هو وأفراد عصابته ، للاستيلاء على غنيمته .

ممدوح :

— لقد صار الأمر الآن فى أيدى الشُّرطة الهندية .

المهراجا :

— نعم .. لقد أخبرنى رئيس الشرطة بأنه سينظّم حملة

من قواته على غابات (بنجولا) ، لمهاجمة أوكار العصابات التى تعيش هناك .. ومع ذلك فإننى أشك كثيرًا فى نجاح مثل هذه الحملة .. فأغلب الظن أن عصابة الجمجمة قد هربت الآن عبْرَ الحدود .

ممدوح :

ـــ لا عليك ياسيِّدى ، فإن قيمة التعويض الذى ستدفعه لك شركات التأمين السويسرية والمصرية ، تزيد على القيمة الحقيقية لتلك الجواهر ، فى حالة عدم العثور عليها .

قال له المهراجا بأسًى :

ـــ إن الأمر ليس أمر قيمة ماديّة .. فهذه الجواهر هى ميراث العائلة ، نتوارثها جيلًا بعد جيل .. فلها قدسية خاصة لدى عائلة (مانجام) .. فلا يمكن لأموال العالم بأسره ، أن تعوّضنى عن القيمة الحقيقية لتلك الجواهر .

وفى تلك الأثناء ، أقبل أحد خدم المهراجا ببعض الشراب ، ووضعه أمام (ممدوح) ، الذى كان جالسًا مع المهراجا فى شرفة قصره المطلّة على الحديقة ، التى تتوسّطها نافورة رائعة من الرخام المرمرى الشفاف ..

قال له المهراجا :

ـــ تفضّل العصير .

ممدوح :

ـــ شكرًا .

ومدَّ (ممدوح) يده لتناول كوب العصير من الصينية التى قدمها له الخادم .

كان الخادم يرتدى الملابس الهندية القديمة ، كما هى التقاليد المتبعة بين حرس المهراجا (مانجام) وخدمه .. غير أن شيئًا ما استلفت نظر (ممدوح) .. فقد لمح سلسلة مدلاة من عنق الخادم ، بها أيقونة عليها رسم لطائر أسطورى له ثلاثة رءوس متشابهة ..

كاد (ممدوح) أن يصعق .. إنها ذات الأيقونة التى رآها معلّقة على صدر أحد المقنّعين ، الذين هاجموا معسكر (روشان خان) ..

وبدأ عقله يعمل سريعًا ، وهو يحاول ماوسعه مداراة انفعاله ودهشته عن المهراجا وخادمه .

وتذكَّر ما قاله له أحد أعوان (روشان خان) قبل موته .. لقد تلفظ ببضع كلمات عن خيانة المهراجا له .. وما بذله من أجله .. إنه ــ وقتها ــ لم يعط لتلك الكلمات القدر الكافى من الاهتمام ..

وراح (ممدوح) يحاول ربط الأحداث بعضها ببعض .. وتذكَّر اسم الرجل ، لقد قال إن اسمه (سيردال) .. نعم (سيردال) .

تناول (ممدوح) كوب العصير ، ثم نهض ليصافح المهراجا قبل انصرافه .

قال له المهراجا ، وهو يشدّ على يده بحرارة :

ــ إننى أشكر لك على كل حال .. فقد بذلت مجهودًا كبيرًا من أجل استرجاع جواهر الأسرة .. لكن الظروف حالت دونك وتحقيق ذلك ..

ممدوح :

ــ من يدرى ؟ عسى أن أقهر الظروف يومًا ما .. فلم يزل أمامنا أمل وحيد .. فقد تمكّن بعض رجال إدارتنا من

إنقاذ أحد المصابين من أعوان (روشان خان) قبل موته .. وهو يعالج الآن بمستشفى المدينة .. وإذا نجح الأطباء فى إنقاذه ، فقد يمكننا الحصول منه على بعض المعلومات .. خاصة وقد كان يردِّد بعض الكلمات غير المفهومة فى أثناء هذيانه ، قبل أن يغيب عن الوعى ..

مثل : إننى أعرف مكان الجواهر .. ولن يفلت الخائن بفعلته .. وسوف أنتقم من الخائن .. كلمات مثل هذه ، كما نطق بأحد الأسماء ، وربما كان هو اسمه نفسه .. أو اسم شخص آخر لديه فكرة عن مكان وجود الجواهر .. إننى لا أتذكَّر الاسم جيِّدًا .. سيرا .. نعم .. (سيردال) ..

وتعمَّد (ممدوح) بأن ينطق هذا الاسم ، وهو يرقب وجه المهراجا بإمعان .. وما كان ليخفى على (ممدوح) ذلك الانفعال السريع الذى طفا على وجه المهراجا ، وأفلح سريعًا فى إخفائه ..

وعاد (ممدوح) ليسأله :

ــ ألهذا الاسم أى دلالة عندك يا سيِّدى ؟

ورسم المهراجا ابتسامة باهتة على وجهه ، وهو يهز رأسه نفيًا :

ـــ كلا .. ربما هو محض هذيان ، كان يهذى به الرجل تحت تأثير إصابته ..

ممدوح :

ـــ ربما .. عمومًا ، لقد أخبرنى الأطباء فى المستشفى ، أنه لو عاش حتى مساء هذه الليلة .. فسيجتاز مرحلة الخطر ، وهذا يعنى أنه سيبقى على قيد الحياة .. وبعدها سيتم استجوابه .. فمن يدرى ؟ ربما كان هو الخيط الذى يدلنا على المكان الذى آلت إليه جواهرك ..

ومدَّ (ممدوح) يده لمصافحة المهراجا مرة أخرى ، قائلًا :

ـــ أشكرك على حسن ضيافتك لى فى قصرك ياسيدى .. وأرجو أن نلتقى قريبًا فى ظروف أفضل .

المهراجا :

ـــ أتمنى ذلك ياسيادة المقدّم .

وانصرف (ممدوح) مغادرًا القصر .

* * *

فى مساء نفس اليوم ، حضر إلى مستشفى المدينة أحد الأشخاص .. توجّه بالسؤال إلى الممرضة التى تعمل باستعلامات المستشفى قائلًا :

ـــ ألديكم مريض باسم (سيردال) ؟

الممرضة :

ـــ نعم ، إنه يقيم بالغرفة رقم (٥٠٥) .

الرجل :

ـــ أشكر لك .

وانصرف ليستقل المصعد المؤدّى إلى الدور العلوى .. ثم انتهز فرصة عدم وجود أحد معه بالمصعد ، فأوقفه بين الدورين الثالث والرابع ، حيث أسرع يخلع معطفه ، ليظهر معطف آخر من معاطف الأطباء .. كان يرتديه تحته .. وتوقَّف بالمصعد فى الدور الرابع ، حيث الغرفة رقم (٥٠٥) ، التى أخبرته الممرضة أن المريض يقيم بها ، فمضى

نحوها بكل ثقة وثبات .. قائلًا لرجل الشُرطة الهندية القائم بالحراسة أمام باب الغرفة :

ــ ألَمْ تحضر الممرضة منذ قليل لمباشرة المريض ؟

الشرطي :

ــ نعم يا سيِّدى الطبيب .. لَمْ يحضر أحد منذ قرابة الساعة ..

وفتح الرجل باب الغرفة قائلًا :

ــ حسنًا .. سأطمئن على حالته بنفسى .

وابتعد الشُرطى من أمام الباب ، فدلف الرجل إلى الداخل ..

* * *



١٠ ــ اللص الحقيقى ..

دخل الرجل الغامض إلى الغرفة ، حيث كان المريض ممدَّدًا على الفراش .. وأسرع يطفئُ أنوار الغرفة ، ثم هجم على المريض بعد أن نزع الوسادة من تحت رأسه ؛ ليضعها على وجهه ، محاولًا كتم أنفاسه ..

وفجأة أضيئت أنوار الغرفة ليبرز (ممدوح) من صوان الملابس القائم فى أحد الأركان ، مصوِّبًا مسدسه إلى الرجل .

فيما وثب المريض من فراشه ، ولم يكن سوى الرائد (رفعت) ، وفى يده مسدسه هو الآخر .

بُهت الرجل ووقف مذهولًا من وقع المفاجأة ، ثم أخذ يتراجع إلى الوراء ليصطدم بباب الغرفة ، الذى انفتح بغتة ليدخل منه أحد كبار رجال الشرطة الهندية ، ومعه معاونوه ..

قال (ممدوح) محدِّثًا رجل الشرطة :

— لقد صحَّ ما توقَّعته يا سيادة الجنرال .. فقد أرسل المهراجا هذا الرجل للتخلُّص من المريض المزعوم ، بعد أن نطقت أمامه باسم (سيردال) ، مما يؤكد أن (سيردال) هذا كان يعرف الكثير مما يتعلَّق بالمهراجا وجواهره .. إلى الحدّ الذى يجعل المهراجا يطلق أحد رجاله للتخلُّص منه ..

سأل الجنرال الهندى الرجل فى غلظة :

— من أرسلك إلى هنا ؟ وماذا تعرف عن المهراجا ؟.

وارتعد الرجل ، وأجاب فى ارتباك :

— لقد تلقَّيت مبلغًا كبيرًا من المال من المهراجا ، مقابل قتل مريض يدعى (سيردال) ، ينزل بهذا المستشفى .. لكننى أقسم أننى لا أعرف شيئًا آخر أكثر من ذلك .

وانتحى (ممدوح) بالجنرال الهندى ، قائلًا له فى همس :

— أتسمح يا سيادة الجنرال ؟.

الجنرال :

— تفضَّل .

ممدوح :

— أريد تنفيذ خُطَّة معينة ، ربما ساعدتنا على الوصول إلى الحقيقة كاملة .

الجنرال :

— وما هذه الخُطَّة ؟.

وهمس (ممدوح) فى أذن الجنرال ببضع كلمات .. ثم توجَّه بعدها إلى الرجل قائلًا له :

— أتعرف أن هناك عقوبة كبيرة تنتظرك ، بعد تقديمك للمحاكمة بتهمة الشروع فى القتل ؟.. وأن من الممكن تخفيفها إذا ما أبديت قدرًا من المساعدة .

الرجل :

— كيف ؟.

ممدوح :

— عليك أن تنفِّذ ما سأقوله لك .

* * *

بعد بضع ساعات رنَّ جرس التليفون فى قصر المهراجا ، حيث ناول أحد الخدم سماعة التليفون له قائلاً :

ـــ هناك شخص يريد محادثتك يا سيِّدى .

وأمسك المهراجا سماعة التليفون ليردّ على محدِّثه .. وبدا عليه الانزعاج وهو يقول :

ـــ أنت ؟! أَلَمْ أحذِّرك أنْ تخاطبنى تليفونيًا تحت أى ظرف من الظروف ؟!

وكان المتكلم على الطرف الآخر ، هو ذلك الرجل الذى أرسله لقتل (سيودال) ، الذى قال له بلهجة مضطربة :

ـــ إننى لم أستطع تنفيذ ما أمرتنى به يا سيِّدى .. فقد وصلت متأخرًا .

قال له المهراجا بعصبيَّة :

ـــ إذن لماذا تتصل بى أيها الغبىّ ؟.

الرجل :

ـــ هناك شىء خطير أردت أن أخبرك به .. فقد استعاد المريض وعيه ، وهناك تحقيق يجرى الآن معه بغرفته بواسطة رجال الشرطة .

وسقطت السماعة من يد المهراجا (مانجام) ، وأسرع ينادى رئيس خدمه قائلاً :

ـــ أعدَّ لى حقائبى على الفور .

رئيس الخدم :

ـــ هل ستسافر يا سيِّدى ؟.

المهراجا :

ـــ نعم .. وأصدر تعليماتك لجميع الخدم ، بعدم الاقتراب من حديقة القصر إلى أن أغادره .

وبدت الدهشة على وجه رئيس الخدم .. لكنه أطاع الأمر قائلاً :

ـــ أمرك يا سيِّدى المهراجا .

واندفع المهراجا متوجِّهًا إلى حديقة القصر ، حيث النافورة الجميلة التى تتوسطها .

كان ينظر حوله ـــ فى هلع ـــ يمينًا ويسارًا ، دون أن يدرى أن هناك عيونًا تراقبه .

فقد نجح (ممدوح) فى التسلل إلى القصر ، والاختفاء وراء بعض الشجيرات الصغيرة المنتشرة فى أرجاء الحديقة .. وكم كانت دهشته عندما رأى المهراجا يهبط بثيابه كاملة داخل مياه النافورة .

وبرغم أن المياه لم تكن عميقة ، بل تصل فقط إلى مستوى عنقه ، إلّا أنه غطس برأسه إلى أسفل المياه ، حيث لمس بلاطة بعينها من بلاطات القيشانى الكبيرة ، التى تشكلت منها جدران النافورة ..

ونزع المهراجا بلاطة القيشانى من مكانها ، ومدّ يده إلى التجويف المختفى وراءها ، وأخذ يخرج بضعة أكياس بلاستيكية من داخله .. وصعد برأسه إلى أعلى ، ليضع الأكياس البلاستيكية التى كانت تحتوى على الجواهر على الجدار الخارجى للنافورة .. لكنه فوجئ بـ(ممدوح) واقفًا بجوارها ، وهو يصوّب إليه مسدسه قائلًا :

ـ هل تحتاج إلى مساعدة ؟.

وعلت الدهشة وجه المهراجا حال رؤيته لـ(ممدوح) ، ونظر إليه وهو لا يكاد يصدق ..

لكنه ما لبث أن وضع أكياس الجواهر على الجدار الخارجى للنافورة أمام (ممدوح) ، وقال له والقنوط يكاد يفترسه :

ـ نعم .. يمكنك الآن أن تأخذ هذه الأكياس التى تحتوى على الجواهر .. وهناك أكياس أخرى سأحضرها لك .

وعاد يمد يده داخل التجويف الداخلى للبلاطة ، ليخرج منها عصًا أبنوسية مرصّعة بالماس ، كانت ضمن حصيلة جواهره .. لكنه ضغط على زرٍّ صغير فى العصا ، فبرز منها نصل حادّ يشبه نصل الخنجر .

ورفع العصا فجأة من الماء ، قائلًا لـ(ممدوح) :

ـ لقد صمّمت هذه العصا ، لتأديب من يحاول الاعتداء على جواهر الأسرة .

وهوى بالنّصل الحادّ البارز من مقدمة العصا .. على يد (ممدوح) ، فأصاب يده بجرح بالغ فسقط منه المسدس ، ثم قفز المهراجا خارجًا من مياه النافورة مندفعًا ، ليصيب (ممدوح) فى عنقه بضربة أخرى .

لكن (ممدوح) تفادى الضربة القاتلة ، بعد أن تراجع سريعًا ، برغم جرحه البالغ ، واستطاع أن يقبض بيده السليمة على يد المهراجا الممسكة بالعصا ، ليحول دونها والنفاذ إلى جسده .

وبكل ما أوتى من قوة وبراعة ، وسعه أن يدير جسده بحركة سريعة مباغتة ، وهو لا يزال قابضًا على يد المهراجا ، ليحمله فوق كتفه ، وينحنى إلى الأمام ويطيح به إلى الأرض

وكان خدم المهراجا وقتئذ يرقبون ما يجرى من وراء زجاج نوافذ القصر ، فأسرعوا لنجدة سيّدهم ، بالرغم من أوامره لهم بعدم الاقتراب من الحديقة .

غير أن رجال الشُرطة الذين اقتحموا القصر من كل جانب ، حالوا دون قيامهم بالاعتداء على (ممدوح) .

وأسرع (رفعت) إلى (ممدوح) يفحص جرحه ، فى حين كان أحـــد رجال الشُرطة يســاعد المهراجا على النهوض .. وهو يرمق جواهره بنظرات ملؤها الحسرة والقنوط ..

* * *

١١ ــ التفاصيل الكاملة ..

عاد (ممدوح) إلى القاهرة ، ليقدّم تقريره إلى اللواء (مراد) ، بعد أن قبضت الشرطة الهندية على المهراجا بتهمة النصب والاحتيال ، والاشتراك فى تدبير المذبحة التى جرت بمعسكر (روشان خان) .

وهكذا سقط حقُّه فى الحصول على قيمة التأمين ، الذى كان يطالب به كلًّا من الشركة السويسرية وشركات التأمين المصرية ، بعد كشف خديعة إخفائه مجوهراته .

واستقبل اللواء (مراد) (ممدوح) ، فى حجرة مكتبه بإدارة العمليات الخاصة ، حيث أخذ يشرح له أسرار العملية التى كُلِّفها .

قال له (ممدوح) :

ــ لقد كان ثراء المهراجا (مانجام) فى الآونة الأخيرة فى حقيقته ثراءً مزعومًا .. لأنه كان فى الحقيقة مقامرًا

كبيرًا ، خسر الملايين على موائد القمار العالمية .. كما أنه ارتكب أخطاء عديدة ، ودخل فى عدة مشروعات خاسرة استنفدت باقى أمواله .. هذا بالإضافة إلى عدد من شركاته وعقاراته ، التى كانت مرهونة لبعض البنوك الأجنبية ، وفاء للديون التى تراكمت عليه .. وكان من المحتم إشهار إفلاسه ، لكنه طلب إرجاء هذا لمدة شهر على الأقل ، لتدبير الأموال المطلوبة منه ، وإتاحة الفرصة له لتسديد ديونه .. وطلب عدم الإعلان عن حقيقة مركزه المالى الحالى ، حتى لا يتسبَّب ذلك فى فضيحة له ولأسرته ، فقد كانت الديون المطلوب منه سدادها تقارب المليارين من الدولارات .. وهو مبلغ لا تغطيه حتى ثروته من الجواهر التى يملكها فى حالة تفكيره فى بيعها .. وهداه تفكيره إلى حيلة خبيثة ، عوَّل على تنفيذها فى أثناء زيارته لمصر .. كان يعرف أن اللِّص الشهير (روشان خان) وعصابته ، يسعون منذ فترة طويلة إلى سرقة جواهره .. لكن التنظيم الجيِّد لحرس المهراجا وقوته ، حالا دون تحقيق ذلك .. فقرر أن يساعد (روشان خان) بنفسه هذه المرة على القيام

بسرقته .. فقام بتخفيف الكثير من قيود الحراسة المفروضة عليه .. وهو ما أثار ريبتى للوهلة الأولى ، عندما علمت بالسرقة .. فقد كان عدد الحراس غير مناسب ألبتة مع ما درج عليه المهراجا فى تنقلاته المختلفة للبلاد التى يزورها .. واستطاع المهراجا أن يجنِّد أحد رجال (روشان خان) ، ويدعى (سيردال) ليعمل جاسوسًا لحسابه ، وهو الرجل الذى أقنع (روشان) بتنفيذ عمليته فى القاهرة ، بتحريض من المهراجا نفسه .. كما أنه كان نفس الرجل الذى أرشد المهراجا إلى الوكر الذى يختبئ فيه (روشان خان) وعصابته ، بعد أن تلقَّى وعدًا من المهراجا بمكافأة مالية ضخمة ..

لكن المهراجا خانه وقتله ، عندما أرسل رجال حرسه مستترين بأقنعة تحمل صورة الجمجمة ، للتخلُّص من (روشان) ورجال عصابته ، واسترداد جواهره ، موحيًا أن ذلك قد تمَّ بواسطة إحدى العصابات الأخرى .. وبموت (سيردال) اطمأن المهراجا أنه لم يترك وراءه

شهودًا .. لكن ــ لسوء حظه ــ أنّ (سيردال) لم يلق حتفه توًا ، بل وسعه عقب المذبحة أن يتفوّه لى قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بتلك الكلمات التى أثارت شكوكى فيما بعد ، وكان المهراجا يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق هدفين :

الأول : الحصول على قيمة التأمين التى تغطى ديونه ، وتنقذه من الإفلاس .

الثانى : بيع الجواهر بعد استردادها ، وبعد الحصول على قيمة مبلغ التأمين بنصف قيمتها ، عن طريق وسيط يتخلص منه فيما بعد ، مما يتيح له ممارسة حياته من جديد كأحد كبار الأثرياء المعدودين فى العالم .

لقد أثار ريبتى أمران ألحّا كثيرًا على خاطرى :

الأول : الكلمات التى ردّدها (سيردال) قبل موته ..

والثانى : ذلك الرسم الغريب للطائر الأسطورى ذى الرءوس الثلاثة ، الذى كان يتدلّى حول عنق الخادم ، كرمز لأسرة (مانجام) ، وهو من التقاليد المرعية لدى كل من يعمل عند المهراجا وأسرته .. فقد رأيت رسمًا شبيهًا له

معلقًا حول عنق أحد المقنّعين الذين هاجموا معسكر (روشان) ..

هذان الأمران حملانى على الارتياب فى المهراجا ، فدبّرت حيلة وجود (سيردال) فى المستشفى على قيد الحياة ، كى أقطع الشك باليقين ، وقد صحّ ما توقعته تمامًا .. فلم يكن وراء سرقة جواهر المهراجا أحد سوى المهراجا نفسه .

اللواء (مراد) :

ــ على أن الشىء الوحيد الذى لَمْ يضعه المهراجا فى حسابه فى أثناء تنفيذه لخطّته الخبيثة ، هو أنك ستدسّ أنفك فى هذه العملية .

ممدوح :

ــ لقد أسهم المهراجا فى إرسالى إلى غابات (بنجولا) ، بحثًا عن جواهره لدى عصابات (روشان خان) ، لتكتمل صورته البريئة ، ومساعدته لرجال الأمن فى البحث عن جواهره الثمينة .. كانت حساباته لا تخرج عن احتمال من اثنين : فإمّا أن أعود محمّلًا بالفشل ، لأقرّر أن الجواهر

كانت لدى (روشان) فعلًا ، قبل أن تستولى عليها العصابة المزيفة الأخرى .. أو لا أعود أبدًا من هذا المكان وهو الاحتمال الأقوى عنده .. لكن لَمْ يدر فى تصوُّره قط أننى سأتمكَّن من العودة ، لأكشف عن حقيقة جريمته التى دبَّرها بذكاء ، وكادت تكون قاب قوسين أو أدنى من النجاح ..

اللواء (مراد) :

— بالمناسبة .. هل جواهر المهراجا هذه تستحق كل هذا العناء والضجة التى أثيرت حولها ؟.

ابتسم (ممدوح) ، وقال وقد سرح ببصره كمن غاب عنه شىء ما :

— يا إلهى !! أتعلم يا سيادة اللواء أننى تجشَّمت كل هذه المشاق من أجل العثور على الجواهر المفقودة .. ومع ذلك فقد فاتنى أن ألقى عليها نظرة قبل أن أعود إلى القاهرة .

فضحك اللواء (مراد) وقال :

— ربما كان هذا أفضل .. حتى لا تعود مفتونًا بها .

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٢٢ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة - تليفون ٨٢٦٤٨٠